أشعرية الناصر صلاح الدين والمذاهب البدعية في مفهوم الشيخ أبي قتادة

السؤال :- الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد:

شيخنا العلامة أبا قتادة أحسن الله إليك وحفظك ذخرا للأمة تنصر السنة وتقمع البدعة.

شيخنا ما قول فضيلتك في الناصر صلاح الدين، وهل فعلا هو من أرسى المذهب الأشعري. وهل الرد على الأشاعرة أو المعتزلة يعتبر من الأمور التي لا فائدة منها ولا تخدم قضية الأمة في مرحلة جهاد الدفع ضد الطواغيت والكفار. جزاك الله خيرا شيخنا....

الجواب :-

أشكر لك سؤالك هذا مع غرابته ولذلك لأمور منها:

إنني لأول مرة أسمع هذا القول وهو أن الملك الصالح الناصر صلاح الدين هو من أرسى المذهب الأشعري ، ذلك لأن تاريخ هذا المذهب معلوم ومشهور لدى أهل العلم وأهل التاريخ، ولما جاء صلاح الدين كان الصراع قائما بين أهل السنة والباطنية وهم الإسماعيليون ، وكان الكثير من بلدان المسلمين خاضعة لأهل الضلالة منهم كمصر واليمن وبعض اجزاء من بلاد الشام، وللذكر فانه مضى وقت على الأمة وقد غلب عليها هؤلاء حيث كانت بلاد الشام أو عامتها تحت سلطانهم وكذلك المغرب الإسلامي ومصر واليمن والحجاز، وقد غلبوا وقتا على بغداد وطردوا الخليفة ثم أعاده الرجل الصالح محمود بن

سبكتكين[1]، ولما جاء أهل السنة من آل زنكي نصروا السنة على هؤلاء ، ولما أرسل محمود الدين زنكي صلاح الدين مع عمه أسد الدين شيركوه قام صلاح الدين بالتخلص من الباطنية الإسماعيليين وجعل الخطبة للخليفة العباسي، وأرسل أخاه إلى اليمن وخلصوها منهم كذلك، وبهذا يكون صلاح الدين له فضل في إعادة السلطة لأهل السنة من الباطنية الإسماعيلية.

وأما القول إنه أشعري المذهب فماذا في ذلك إن صح ، وهل هذا المذهب في ما يفقه عموم الناس وما يفقهه أمثال ملك كصلاح الدين إلا الدفاع عن أصحاب رسول الله وأمهات المؤمنين ، وأن ألفاظه العامة هي أقوال أهل السنة دون التفصيلات التي لا يخوض فيها إلا علماء هذا المذهب، فمثلا يقول الأشعري إن القرآن كلام الله تعالى ، وهذا كاف لدى العامي كصلاح الدين ، وأما ما وراء ذلك من التفصيل وهو غلط ولا شك فلا ينشط لفهمه إلا أهل العلم في هذا المذهب، ثم إن السني في هذا الوقت هو من جعل الخطبة للخليفة العباسي دون العبيدي القابع في مصر ، وكان هذا ما يفهمه الناس يومها من التفريق بين سني وفاطمي كما يقولون وهم العبيديون الزنادقة،وأنا أبين لك امرا مهماً تعرف كيفية الحكم على الرجال والناس :

أخي الحبيب أنت تعلم أن الناس إما أهل إرادة وإما أهل علم وقد يجتمع الأمران في الرجل كما كان الشأن زمن الصحابة إذ جمع الخلفاء الأمرين أي العلم والإرادة ، ثم حصل الافتراق، إذ صار ناس هم أهل إرادات كالحاكم والمجاهدين وأهل الفعل والإدارة ، وإما علماء يكون العلم شأنهم ، يخوضون في مهماته وفروعه ودقائقه، فالواجب الحكم على الرجل فيما هو فيه من إتقان ، أصاحب علم هذا أم إرادة، ولا يحكم على الرجل الذي فرغ لأمر الإرادات كالجهاد والسلطان بما يحكم على أهل العلم، والحاكم الصالح وكذلك المجاهد والوزير الصالح هو من قرب أهل العلم له ، وسألهم وقربهم إليه، وجعل أقوالهم بما يقولون من فتوى حاكمة على فعله، وهذا إن نسب إلى مذهب فإنما لتقريب أهل هذا المذهب إليه لا لإنه مدقق ومن أهل النظر فيه ، فنسبته إليه كنسبة العامي،

---

[1] (?) قال الذهبي عن محمود سبكتكين في العبر 1/191: كان على عزم وصدق في الجهاد. قال عبد الغافر الفارسي: كان صادق النية في إعلاء كلمة الله تعالى، مظفرًا في غزواته، ما خلت سنة من سني ملكه عن غزوة أو سفرة، وكان ذكيًّا بعيد الغور، موفق الرأي، وكان مجلسه مورد العلماء.

وهؤلاء السلاطين من المسلمين كحال آل زنكي ثم الصلاحيين كان هذا شأنهم ويحبهم أهل السنة لتقريبهم علماء السنة والعمل بفتواهم ، فهذه منقبة لا سيئة حتى لو نسب لمذهب هذا العالم الذي فيه بعض بدعة، كما هو الشأن في الانتساب لمذهب الأشعرية، ثم إنك تعلم ويعلم الكثيرون أنه من زمن صار في عرف العوام والعلماء كذلك أن مذهب الأشعري هو مذهب أهل السنة وهذا معروف في الكتب، فلما يأتي العامي ويقول أنا أشعري فإنما يعني أنه سني ، بل إن هذا قول كثير من أهل العلم ينتسبون للمذهب الأشعري لأنه عندهم هو المذهب السني الذي ينجو صاحبه من البدع الضالة كالرفض والاعتزال وغير ذلك، ولذلك كان في وقت تصالح شديد ووثيق بين أهل الحديث والمنتسبين للأشعري ولعل طلبة العلم يعرفون قصة تقبيل يد الإمام الباقلاني وهو سيد الأشاعرة بل إن الحقيقة تقول أن مذهب الأشعري لا ينسب للأشعري بل للباقلاني أقول لقد كان الدارقطني وهو السني الأثري الجلد يقبل يد الباقلاني هذا ، وذلك لعلمه مقدار دفاع هذا الإمام عن الإسلام أمام الزنادقة والباطنية.

والحق إن المنصف عليه أن يعرف محنة الوقت حتى يعمل لها ولا يبحث عن المعارك التي تبتعد عن فتنة العصر ، ولقد كانت فتنة العصر في زمانهم هي الزندقة التي يحمل لواءها الإسماعيليون القرامطة، ولو تفكرت في إنتاج العلماء في هذا الزمان لرأيت أن أغلبهم كان جهاده في إثبات النبوة وإعجاز القرآن، وهذا كان شأن الجهاد فيه بيد المتكلمين من الأشاعرة رحمهم الله تعالى، كأمثال الإمام المجادل العظيم الباقلاني، بل إن شأن هاتين المسألتين كان للمعتزلة فضل الدفاع عن الإسلام فيهما ضد الزنادقة هؤلاء، ولو دققت في كتب العلماء في هذا الوقت لرأيت فضل المعتزلة في هذين البابين أعني النبوة والقرآن، وأنا أعلم مقدار الجهل في زماننا الذي سيجعل ذكر هذا جريمة عظيمة حين يذكر واحد فضل المعتزلة في باب من أبواب العلم ، لكن الإنصاف هو دين من يبتغي الدار الآخرة وأنا على مذهب الدارقطني رحمه الله تعالى في تقبيل يد من يخوض معركة الإسلام التي يحياها في زمنه.

وهذا يعلمنا ان نخوض معركة زماننا وأن نحترم من يخوضها معنا حتى لو خالفنا في بعض المسائل العلمية التي لا تخرجه من الإسلام ، أما من يريد الطهر التام حتى

في زمن خلو الناس عن العلم الصحيح ليخوض معركة يريد بها خصوم الإسلام استئصاله فهؤلاء عوفوا من نعمة العقل والحمد لله على نعمه، ولعلك تذكر في الوقت القريب حيث كان أهل الإسلام يخوضون أكبر معاركه ضد التغريب والفكر الإلحادي والفكر القومي الكافر الذي يبني الأمة على غير الإسلام وهداه، وقام لهذه المعركة العظيمة رجال عظام مباركون ، مع بعض هنّات منهم ، وعملوا لتثبيت الإسلام في القلوب وناضلوا وجاهدوا أشد الجهاد ثم يأتي الصغار الأغبياء اليوم ليكسروا هذه القامات بسبب هذه الهنّات، فرحم الله هؤلاء العلماء على ما بذلوا من جهاد في سبيل أن يصل الإسلام إلينا، ولذلك الطاعن في هؤلاء العلماء هم أهل خيانة وغدر ، وليس من الدين أن يقوم جاهل ليجمع أخطاءهم ليخرجهم من دائرة الإسلام أو السنة.

ولذلك لا تعجب مني حين أترحم عمن أعلم خطأه ، وأحبه وأواليه وأدافع عنه، وقد يظن الجاهل أني متناقض وهذا لأنه لا يعلم التفريق بين الأمرين ولذلك أقول رحم الله هذه القامات العظيمة رغم أنف الجاهلين. وهذه عقيدتي في حكام المسلمين الصالحين ، حتى لو انتسب لمذهب أعلم أنه ليس في تفصيلاته على الهدى الذي أدين لله به، وهي عقيدتي في أعلام الإسلام في كل باب.

ولذلك كنت أعجب من الجهلة من أهل الغلو في الجزائر وهم يشتمون مالك بن نبي وأقول هزلت وبان هزالها. فهذا رجل عاش محنة عصره مدافعا عن الإسلام بما علم منه واليوم يأتي من لا يريد خوض معركة الإسلام ضد خصومه بل يريد جعل المعركة الكبرى مع المسلمين انفسهم مع ان الإسلام يحارب للاستئصال ، ويتفرغ لإخراج أمثال هذا الرجل من الإسلام، صدقا إن العقل نعمة ، وإن الإنصاف قليل.

ومثل ذلك يقال عمن فرغ نفسه لمحاربة سيد قطب، وهنا لا أريد إلا أن أقول جهلة ورب الكعبة، وغلاة إي والله وما الذي نراه من غلو في ذبح المسلمين ما جاءنا والله إلا من هؤلاء.

وما فتح الباب في مناقشة صلاح الدين أشعري ام سني إلا من باب الجهل والضلال.

وفتح باب المعركة داخل الإسلام لا مع خصومه مع أن المعركة الكبرى تخاض اليوم من اجل الإسلام أيكون أو لا يكون. وكلامي هذا لا يعني قط أن لا نناقش العلماء في مواطن العلم والنصيحة وبالحق، فهذا باب والذي تقدم باب آخر.

وانا إن قلت أني على مذهب الدارقطني ولي النجاة إن شاء الله من العار والشنار فلي الفخر أن اقفوا طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية وهو من هو في بيان الحق والهدى والسنة التي يعتقدها وهو مع ذلك له الشأن في الدفاع عن العلماء الذين خالفوه بل وحاربوه.

رحم الله كل عالم وحاكم وداعية الى الله حافظ على لبنة واحدة من لبنات الإسلام حتى وصل إلينا.

والأصل أن نخوض غمار ما خاضوا وان نفرغ لمعركة عصرنا كما فرغوا.

وعدم الإنصاف وإدراك طبيعة معركة العصر توقع في الغلو إلى طـــــرفين وهما في وقتنا من أوضح ما يكـــــون فانظر إلى الضالين ممن يسمون بالسلفيين وهم يحالفون السيسي المجـرم ضد جماعة مسـلمة تخطيء وتصـيب ، ويقـابلهم أهل غلو يكفـرون هـذه الطائفة وينشـطون بعد الحكم بردتها على قتالها، فهؤلاء يقاتلون مع حفتر المجرم ضد المسـلمين ويتحـالفون مع السيسي ضد المسـلمين، وهؤلاء يحكمون بردتهم ويطالبون بقتلهم وقتـالهم، وهكـذا تـرى أن سـعار الإفـراط والتفريط قد أدى إلى الضـلال ، والسـني هو من يعـرف حكم المسـائل في نفسـها ، ثم يضـــعها بحسب منزلتها من عصـــره، وينشط بكله إلى معركة زمانه التي يخوضـها الإسـلام والمسـلمون، ولعلكم كـذلك تـذكرون ذهـاب طوائف من الإجـرام ضد طالبـان والتحالف مع الكفـار ضـدهم وهو عمل ردة صـريح، ومنبع هذا هو سعار المخالفة بغير هدى وضابط شرعي.

وفي الختام فإن فتح الطعن في أهل الإرادات من رجال تاريخنا وكذلك من المعاصرين بحجة أخذهم لمذاهب فيها البدعة وهم ليسوا من أهل النظر خطأ وانحراف عن الجادة ، وكذلك الطعن في اهل العلم على سبيل الإسقاط والبراءة الكلية منهم ذهاب إلى الغلو والجهل، والصواب هو فتح باب العلم في بابه لبقاء الحق

جليا مع اعتبار الإنصاف ومرتبة الإنسان من الإسلام والعمل له.

والله الموفق وعليه التكلان.

جزاك الله خيرا شيخنا على هذه الإجابة المستفيضة الشاملة المانعة الماتعة، وجعلها الله في ميزان حسناتك.

منبر التوحيد والجهاد

* * *

ww//:ptth
ww//:ptth
ww//:ptth
ww//:ptth
ww//:ptth